

يكون مخبره على خلاف خبره» (٢٥٠) بل يمضى عبدالقاهر إلى ما هو أبعد من ذلك ، فيجعل الاستعارة من الأمور العقلية ، لأن « سبيلها سبيل الكلام المخوف في أنك إذا رجعت إلى أصله وجدت قائله وهو يثبت أمرا عقليا صحيحا ، ويدعى دعوى لها شبح من العقل» (٢٥١) . وهو بهذا يخالف ابن سينا الذى يجعل الاستعارة ضربا من التخيل ، إذ يقول « وليعلم ان الاستعارة في الخطابة ليست على أنها أصل بل على أنها غش يُنتفع به في ترويح الشيء على من يندفع وينغش ، ويؤكد غلبة الإقناع الضعيف بالتخيل ، كما تغش الأطمعة والأشربة بأن يخلط معها شيء غيرها لتطيب به ، أو لتعمل علمها ، فيروج أنها طيبة في أنفسها» (٢٥٢) .

وعند بلوغ هذه النقطة التى نختتم بها حديثنا عن فكرة « التخيل » بين عبدالقاهر وابن سينا يجدر بنا أن نرسل الطرف إلى النبع البعيد الذى صدرت عنه هذه الفكرة لنندرك مدى ما طرأ على مفهومها من تطور ، وقد سبق أن قلنا إن هذا المصطلح ليس إلا المقابل العربى الذى استخدمه الفارابى أو ابن سينا لكلمة « المحاكاة » عند أرسطو ، حسبما جاءت في ترجمة متى بن يونس لكتاب الشعر ، وكانت دلالتها في هذه الترجمة أقرب إلى معنى التشبيه المعروف ، في حين أن أرسطو كان يقصد بها « تمثيل أفعال البشر الحيرة والشريرة » ، ثم تغيرت دلالتها مرة أخرى بتفسيرها بكلمة « التخيل » لتتحول بذلك إلى ضرب من ضروب القول تنفعل به النفس ، وتدعن له انبساطا وانقباضا من غير روية وفكر ، ويتمثل في مفهوم عبدالقاهر إلى لون من القياس الشعري الخادع الذى يوهم تقديم الحقبة ، وهو ليس كذلك في الواقع . وهكذا بعدت فكرة « المحاكاة » في معناها الأخير عن أصلها الأول بعدا شديدا إلى الحد الذى يسمح بالقول بأنه ليس بين المعنيين علاقة .

أما فكرة « النظم » وهى الفكرة الثانية التى قلنا إن الكلام دار حولها أيضا بشأن تأثر عبدالقاهر فيها بالفكر البلاغى والنقدى عند أرسطو . فقد سبق أن

(٢٥٠) السابق ص ٢٢٢ .

(٢٥١) أسرار البلاغة ص ٢٢٣ .

(٢٥٢) الشفاء ، المنطق ، القسم الثامن ( الخطابة ) ص ٢٠٣ .